

ذهب السودان الغربي ودوره في تجارة المغرب الإسلامي

أ.د. جميلة بن موسى
المدرسة العليا للأساتذة
- بوزريعة - الجزائر

الملخص:

يعد الذهب من المعادن الثمينة التي اتخذتها العديد من الدراسات الاستراتيجية عاملا من عوامل البناء الحضاري بشكل عام، لما له من تأثيرات على الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، لأن معدن الذهب شكل وما زال يشكل مصدر تحول أكبر عبر التاريخ للعديد من الشعوب، خاصة تلك التي اتخذته مصدر تأثير اقتصادي وعقدي. وبعيدا عن تأثيرات هذا المعدن على شعوب آسيا وأمريكا، انصب اهتمامنا على المجتمع الإفريقي خاصة الغربي منه، وبالتحديد السودان الغربي خلال فترة العصور الوسطى، التي كانت تعد احدى الفترات التاريخية الهامة التي عرفت فيها المنطقة ازدهارا كبيرا في انتاج معدن الذهب والمتاجرة به مع المغرب الإسلامي، حيث أدى إلى ظهور تأثيرات اقتصادية هامة خاصة في المجال التجاري الخارجي والداخلي والتي أكدت مظاهره أن المنطقة أصبحت مركز استقطاب حضاري بامتياز.

الكلمات المفتاحية:

الذهب؛ السودان الغربي؛ المغرب الإسلامي؛ التجارة؛ العصور الوسطى.

Abstract:

Gold is one of the precious metals that many strategic studies have taken as a factor in the construction of civilization in general, because of its effects on the political, economic and social situation, because the gold metal has formed and continues to be a source of greater transformation throughout history for many peoples, especially those taken by a source Economic and nodal effect. Away from the effects of this mineral on the peoples of Asia and America, our attention focused on the African community, especially the Western one, and specifically Western Sudan during the medieval period, which was considered one of the important historical periods in which the region witnessed great prosperity in the production of gold and its trade with the Islamic Maghreb, where This led to the emergence of important economic influences, especially in the external and internal trade field, whose manifestations confirmed that the region has become a center of civilized polarization par excellence.

Keywords:

Gold; Western Sudan; Islamic Maghreb; Trading; Middle Ages.

مقدمة:

إن البحث في معدن ذهب السودان الغربي دفعنا وما زال يدفعنا إلى توسيع حقل الدراسات فيه بشكل علمي دقيق، وهذا لما أصبحت تفرزه من نتائج إيجابية على طبيعة الأبحاث العلمية الأكاديمية وإشكالياتها المبنية على مناهج دقيقة، حينما يتعلق الأمر بإبراز الدور الذي تلعبه الدراسات التاريخية المبنية على المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والأثرية، بعيدا عن تلك الدراسات الكلاسيكية المعتمدة على الروايات التاريخية المصدرة والمبنية في غالبيتها على الروايات الشفوية، التي تفتقد في غالبيتها إلى مصداقية كفرضية علمية يمكن اعتمادها عند تحليل العديد من الحوادث التاريخية في شتى المجالات .

كما يمكن لنا القول أن البحث في ذهب السودان الغربي والاتجار به وتأثيرات ذلك على المغرب الاسلامي والسودان الغربي، ما زال لم يحظ باهتمام واسع من طرف الباحثين المغاربة وغيرهم، لإظهار مدى تأثير هذا المعدن على الجانب الحضاري للمنطقتين، كون الاهتمام بهذا الموضوع يتطلب تخصصا علميا وتجربة بحثية دقيقة تمكن الدارس من خلالها الوصول إلى حقائق تخدم تاريخ إفريقيا بشكل عام، وتأثيرات ذلك على المناطق المجاورة لها خاصة منها الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومعرفة مدى تأثير ذلك على التركيبة الاجتماعية لإفريقيا والمغرب الإسلامي معا. ولفتح المجال الدراسي بشكل أوسع حاولنا طرح العديد من الأسئلة رأيناها تشكل مجال بحث دقيق لمن يريد الاهتمام بموضوع ذهب السودان الغربي، وهذا بعد أن أخذ منا شوطا من وقتنا ونحن نبحث في ثناياه.

ومن بين أهم هذه التساؤلات:

- أهمية ذهب السودان الغربي ودوره في تنمية النشاط الاقتصادي بالمغرب الاسلامي خلال فترة العصور الوسطى؟
- ذهب السودان الغربي ودوره في ظهور مدن الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط؟

- تجارة ذهب السودان الغربي وأثرها في بروز ونمو المحطات التجارية للمغرب الإسلامي؟
- تجارة ذهب السودان الغربي وتأسيس ممالك السودان الغربي؟
- الفتوحات الإسلامية في السودان الغربي وأثر ذلك على ازدهار تجارة الذهب؟
- ذهب السودان الغربي ودوره في توسيع تجارة الرقيق والملح بين المغرب والسودان الغربي؟

أما فيما يتعلق بموضوع هذه الدراسة حاولنا تحديده في معدن ذهب السودان الغربي وتأثيراته على تجارة المغرب الإسلامي؟ ولا نخفي أن محاولتنا هذه ستبدو طموحة، لذلك ما يقدم خلال هذه الدراسة سوف يكون موجزا، ونلتزم أن يظهر اهتماما أكثر بهذا الموضوع من طرف الباحثين في مختلف التخصصات.

وقبل الاستقرار على موضوع النشاط التجاري بالمغرب الإسلامي وعلاقته بمعدن ذهب السودان الغربي، تستوجب طبيعة البحث التعريف بالذهب كمعدن استقطب الانسان منذ القدم له خصوصيات ميزته عن العديد من المعادن الثمينة الأخرى، حيث عرف أنه عنصر أصفر فلزي يرمز له (AU) وهي عبارة مشتقة من اللغة اللاتينية (AURUM)¹. وجاء في تعريفه الكيميائي أنه يأتي في المجموعة الانتقالية رقم 11 من الجدول الدوري، ورقمه الذري 79، ووزنه الذري (196،967)، ووزنه النوعي (19،3). ينصهر في درجة حرارة مئوية قدرها (1063) ويغلي في درجة مئوية قدرها (2500). كما يعتبر الذهب من الموصلات الحرارية والكهربائية بامتياز، حيث لا يفوقه في ذلك سوى معدن الفضة والنحاس. يتميز أيضا أنه معدن قابل للطرق والسحب بكثافة تصل إلى (000013،0) سم. وهو معدن ذو ملمس ناعم تبلغ صلابته من (2،5) إلى (3) مقياس الصلابة، وهو لا يتأثر بالهواء والحرارة والرطوبة. كما أنه لا يذوب في الأحماض المركزة مثل حمض الكبريتيك، وحمض الفوسفوريك، وحمض النتريك وحمض الهيدروكلوريك، لكنه يذوب في " الماء الملكي " وهو خليط مشكل من حمض الهيدروكلوريك والنتريك المركزين، كما يؤثر فيه حامض التلمريك ومحلول كلوريد الحديد الساخن².

والحديث عن الذهب أنه معدن محرك لكل الحضارات قديما وحديثا، يقودنا إلى البحث في مكانة هذا المعدن في عرف وعادات العديد من المجتمعات، خاصة عندما يضاف إليه الطابع القدسي ويتخذ كعامل من العوامل التي تقي وتحمي من قوى الشر المخفية. حيث وجدناه قد استخدم من طرف الفراعنة منذ 2700 سنة أين اقترن اسم الذهب بالآلهة المعبودة من دون الله سبحانه وتعالى والأسرة الحاكمة، وسلطة الملك ورمز من رموز الحياة الأبدية، فغلقت به جثث الموتى وزينت به أوانيهم وأواني الملك معا. وفي الخط الهيروغليفي رمز إليه بشكل " الطوق " الذي يعني الجمال والقوة³. نفس المعتقد كان منتشرًا عند الإغريق الذين غلفوا تماثيل آلهتهم المعبودة من دون الله سبحانه وتعالى برقائيق الذهب، وأشهر ما نقل عن ذلك هو تغليف تماثيل " أثينا " الشهير من طرف النحات الإغريقي " فدياس " خلال القرن الخامس ق. م⁴. ولا يختلف الأمر عند الرومان وحضارتهم حيث اعتبر الذهب رمز من رموز الشهرة ومدى ثراء العائلة النبيلة، وتميزها عن بقية الطبقات الشعبية الرومانية الأخرى⁵.

أما بالنسبة للمسلمين الذين كان جهادهم ودعوتهم من أجل قتال الكفار والمشركين وسائر أعداء الله والدين، حتى تخلفي معالم الأصنام وترتفع راية الإسلام ويبلغ نوره سائر البقاع والبلدان، لم يكن معدن الذهب لديهم من أولى الاهتمامات ولا غاية من الغايات ولا محل استقطاب وتنافس فيما بينهم، كما تزعم العديد من الدراسات الغربية والاستشراقية التي أكدت وما زالت تؤكد أن الفتوحات الإسلامية، ما هي إلا حجة من الحجج الواهية كان الغرض منها إشباع تلك الغريزة المادية، التي عرفت عند كافة الشعوب، بينما في حقيقة الأمر وجدنا أن التشبع الروحي الذي عرفه المسلمون الأوائل، جعلهم ينظرون إلى معدن الذهب على أساس أنه زينة وممتعة دنيوية لا أكثر مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ (سورة آل عمران، الآية: 14)، إلا أن الحصول

عليه بعد توسيع خريطة الفتوحات الإسلامية غربا وشرقا، مكنت المسلمين من تحقيق ازدهار اقتصادي لا مثيل له، أدى بدوره إلى تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف لها تأثيرات في كافة المجالات، خاصة إذا علمنا أن المسلمين بفتوحاتهم تمكنوا من الاستحواذ على ذهب القوقاز في آسيا، ومن جبال الأورال وآلتاي، ومن التبت والتركستان، إضافة إلى ذهب إفريقيا الذي كان أكثر غزارة كذهب منطقة ما بين النيل والبحر الأحمر، وبلاد النوبة والحبشة وإفريقيا الشرقية، تليها إفريقيا الغربية أي بلاد السنغال والنيجر وساحل الذهب⁷.

من هذا الحديث أي من تأثيرات المعدن الأصفر على الحياة الاقتصادية للمسلمين، يأتي اهتمامنا بموضوع التجارة في المغرب الإسلامي ودور ذهب السودان الغربي في تنميتها وتأسيس محطاتها، وتنوع منتوجاتها وتنظيم قوافلها، وبروز تجارها. وقبل الحديث عن النشاط التجاري في المغرب الإسلامي وعلاقته بمعدن الذهب، تستوجب منا منهجية البحث التعريف بمنطقة المغرب بتحديد مضمونها الجغرافي ولو بشكل مختصر، لنقول أن ابن خلدون أشار إلى ذلك قائلا: إن لفظ المغرب في أصل وصفه، اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة إضافة إلى جهة المشرق⁸. أما الزهري فقد قسم المغرب إلى ثلاثة أقسام يشمل كلا من إفريقيا والمغرب الأقصى والسوس الأقصى⁹. لكن الاصطحي قسم المغرب إلى قسمين: فأما الشرقي فهو برقة وإفريقيا وتاهرت وطنجة وسوس وزويلة، أما الغربي فهو الأندلس¹⁰.

وفي نفس السياق يمكن لنا إضافة ذلك التعريف الذي تم تداوله في العهد الروماني أين قسمت فيه المنطقة أيضا إلى ثلاثة أقسام: إفريقيا، نوميديا، وموريتانيا¹¹. وعن وصف سكان منطقة المغرب ذكر ابن خلدون قائلا: " أن تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة للشرف والرفعة بين الأمم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل والوفاء بالقول والعهد، ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وكسب المعدوم " ¹². كما احتل المغرب موقعا استراتيجيا بين المشرق الإسلامي وبين إسبانيا المسلمة آنذاك، كما امتلك مكانة بين الصحراء الكبرى والسودان الغربي¹³ والبحر الأبيض المتوسط¹⁴.

من خلال ما سبق ذكره يمكن لنا القول أن البحث في المجال التجاري كنشاط اقتصادي في الفترة الإسلامية يوضح لنا الرغبة في الاستيطان والاستقرار في المدن، لأن الفتوحات الإسلامية التي كانت من صنع عرب شبه الجزيرة العربية والمشكلين لأول قوة عسكرية إسلامية قادها زعماء مكة الحضر الذين تعاطوا التجارة وتمويل القوافل الكبرى وتجهيزها، واستقرارهم في المعسكرات الواقعة في مواجهة المدن الكبرى كالفسطاط والكوفة والقيروان، أكدت لنا رغبة التاجر العربي الحضري والبدوي الرحال في استيطان المدينة، وما الاندماج الذي حدث لهم مع السكان الأصليين في تلك البلدان التي فتحوها والتي عرفت هي الأخرى التجارة الداخلية والخارجية منذ القدم، إلا توضيحا لرغبتهم في استمرار النشاط التجاري الذي أوجدوا له كل العوامل المغذية له، سواء من حيث توفير المنتج الزراعي أو المنتجات الصناعية التي عرفت عند غير العرب والتي لم يكن العرب قد ألفوها في شبه الجزيرة العربية، أو تشريعات الدين الإسلامي التي حالت دون استخدام هذا النشاط في طغيان البشر فيما بينهم وسلب حقوق بعضهم البعض. وهكذا أصبح المغرب الإسلامي ميدانا لهذا النشاط الذي ربط كل أجزاء العالم الإسلامي شرقه وغربه شماله وجنوبه في إطار دين نظم علاقاته، وحدد شروط وأركان صحة عقودهم، وشرحت مقاصده، لتحقيق الأهداف التي من أجلها يسعى الإنسان وراء توسيع نشاطه حيث حل لكسب قوته اليومي. وفي هذا السياق عرفت التجارة على أساس أنها عملية تقليب المال بالتصرف فيه بيعا وشراء بقصد الربح، وهي من المهن التي يمارسها الإنسان بغرض الكسب وتنمية المال وزيادته، ولغة: عرفت أنها من مصدر تَجَرَّ، يقال: يَتَجَرَّرُ، تَجَرَّرًا. وتجارة: إذا باع واشترى¹⁵.

وما دامت التجارة تدخل ضمن ضروريات الحياة التي لا غنى عنها للإنسان، في قوته ولباسه ومسكنه ويجب حفظها، فإن الشريعة الإسلامية ذكرتها في مقاصد الشريعة ضمن باب حفظ المال، وفي مطلب رواج المال، والرواج المقصود هنا هو انتقال المال بأيدي عديدة في الأمة على وجه لا حرج فيه على مكتسبه، وذلك بالتجارة وبأعواض العملة التي تدفع لهم من أموال أصحاب المال، ورواج المال إذن هو دورانه بين أيدي الناس بوجه حق، وهو مقصد شرعي عظيم دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال¹⁶.

وإذا كانت التجارة دائما تعبر عن المال والثروة وعن النشاط البشري، فلقد وجدنا أن المغاربة لم تستثنيهم هذه الصفة منذ القدم إلا أنه في الفترة الإسلامية كانت تجارتهم بارزة بشكل واضح للعيان، حيث ساهم التجار المغاربة في توسيع النشاط التجاري داخليا وخارجيا، خاصة بعد التمكن من الاستحواذ على أسواق معدن الذهب الذي كان يرد من السودان الغربي، هذه الرقعة الجغرافية التي سجل لها التاريخ حوادث مكنتها من البروز والظهور والانضمام إلى المراحل التاريخية التي ميزت حضارة إفريقيا السوداء. وللبحث أكثر في هذا النشاط الاقتصادي ومدى توسعه وازدهاره كان علينا الوقوف على معدن الذهب ومواطنه ومدى تأثيره على هذه التجارة سواء من حيث الكمية الكبيرة التي كانت ترد منه إلى المغرب الإسلامي والمشرق وتصدره للمبيعات الأخرى مقارنة بالملح والعبيد، أو من حيث تنافس البلدان الإسلامية فيما بينها للحصول عليه واحتكار مسالكه.

ولمعرفة ذلك كان علينا البحث في مواطن الذهب في إفريقيا الغربية أي في السودان الغربي وهذا لوضع تصور كامل عن تجارة الذهب بين القطرين، ومدى تأثير ذلك على كل المناطق المحيطة بها. عن هذا الموضوع أشارت العديد من الدراسات الجيولوجية أنها كانت مرتكزة في الأنهار القديمة خاصة في أعالي السنغال، التي كانت تشكل بمجاريها المائية ما كان يسمى بجزيرة الذهب وهي المناطق المعروفة اليوم بـ: بامبوك، أو الوفارة عند التجار والرحالة العرب، وهي الواقعة بين «Bafing» و«Falémé» البافيج والفاليمي، وهي من أهم روافد نهر السنغال. أما المنطقة الثانية فهي الواقعة في أعالي نهر النيجر والتي تدعى "بوري"¹⁷.

والذهب في هذه المناطق يعثر عليه وفق الدراسات الجيولوجية على شكل غرين ناعم حامل لتبر الذهب، أي ليس على شكل عروق معدنية¹⁸. كما أشارت العديد من الدراسات إلى أن التجار العرب والبربر حاولوا الوصول إلى مواطن الذهب، أي مواقع استخراجهم في السودان الغربي لكنهم لم يتمكنوا من ذلك، نظرا للعرف الإفريقي الذي أبقاها في سرية تامة، وحسب كل الدراسات فإن المواقع وطرق استخراج الذهب المذكورة في العصور الوسطى، من طرف الأفارقة

والرحالة والتجار العرب كانت كلها من نسج خيال الأفارقة، وهذا لإبعادهم عن هذا المعدن واستغلاله ذاتيا. ومن بين أهم الرحالة الذين أشاروا إلى ذلك البكري الذي قال: أن أفضل الذهب ما كان بمدينة غيارو" كما أضاف قائلا: "إن حوالي مدينة "كوغة" معادن التبر كثير وهي أكثر بلاد السودان ذهباً"²⁰. أما الإدريسي أشار إلى منطقة التكرور والونقارة قائلا: "وبلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة والكثرة، وفيها بلاد معمورة ومعقل مشهورة وأهلها أغنياء والتبر عندهم وبأيدهم كثير"²¹. ولكن بعد إخضاع هذه المواقع للتحليل والمقارنة بتلك النصوص الحديثة الواردة في شأن معدن الذهب الإفريقي (السودان الغربي) ومواطن استخراجها اتضح أن ما ذكر من طرف روايات الرحالة العرب، لم تكن له أية علاقة بتلك الحقائق الواردة في تقارير الدراسات الجيولوجية والأثرية لمنطقة غرب إفريقيا حديثا. وعلى سبيل المثال فقد أشارت الدراسات أن العرب لم يتوغلوا في منطقة النيجر كمنطقة لوبي وبورا. أي أن وصف البربر والعرب لمواطن الذهب كان مقتصرًا على أسواق الذهب أي المدن المحتكرة لتجارته وتسويقه نحو المغرب الإسلامي وليس مناجم الذهب²².

أما فيما يتعلق بطرق استخراج ذهب السودان الغربي فكانت بطريقتين الأولى تمثلت في الحصول عليه من ضفاف الأنهار، وكانت أسهل طريقة اعتمد عليها الأفارقة لأنها لم تكن خطيرة ولا مكلفة. وهنا يكون الذهب ممزوج ببعض الصخور والترسبات القديمة والمغطاة بالترسبات الحديثة الجارية في الأنهار. أما الثانية فنعني بها الذهب الذي يكون على شكل عروق وكان أكثر انتشارا في كل من بامبوك وجالام وهي تقنية اعتمد عليها الأفارقة منذ القدم وهي على مدار العام، وكانت العملية تتطلب حفر الآبار الدائرية الشكل في الأرض ودهاليز منجمية مدعمة بأخشاب، يصل عمقها في بعض الأحيان إلى ثمانية أمتار وقطرها 80,0 وتتمثل خطورة هذه العملية في أن أسقف الآبار كانت تنهار على أصحابها مما يؤدي إلى هلاكهم²³.

وعلى الرغم من صعوبة عمليات استخراج الذهب والتي تمثلت في حفر الآبار وتفريغ الماء منها، ثم الحاجة إلى الماء لغسل الأتربة الغرينية، ثم انهيار أسقف الآبار وهلاك العبيد من العمال، إلا أن الرغبة في الحصول عليه والاستمرار في البحث عليه كانت تتزايد بين السكان وتبدو بسيطة مقابل الحصول على كتلة ذهبية من شأنها أن تغني الفرد الإفريقي وتقيه شر الجوع طول حياته.

أما عن الكميات المستخرجة من الذهب من مناجم السودان الغربي، أو الكميات المنقولة منه إلى المغرب الإسلامي، حاولت بعض الدراسات الغربية التي قامت بالحفريات في منطقة أودغشت، أو التي درست كميات المستخرجة منه من نفس المناجم حديثاً، وكذلك تلك التي درست عدد الآبار القديمة التي تم الكشف عنها، تقدير ذلك وتحديدها ما بين طن وثلاثة أطنان كأدنى حد وهذا بعد تلك المقاربات التي وضعت لعدد الجمال التي تكونت منها القافلة التجارية أثناء رحلتها إلى السودان الغربي، والتي قدرها ابن خلدون بأثني عشرة ألف جمل. للعلم فإن التاجر الواحد كان يسافر ومعه ما يقارب مائة جمل، وعند عودته يبلغ عدد الجمال المحملة بالذهب أو التبر الثلاثة جمال، وإذا افترضنا أن حمولة الجمل كانت تقدر بـ: 127 كغ أي ما يعادل 382 كغ من الذهب للتاجر الواحد، يمكن لنا أن نتصور كمية الذهب التي كانت تنقلها القافلة التي تعدى عدد جمالها أكثر من أربعة آلاف جمل، وهذا بناء على الدراسات التي ذكرت أن القافلة أثناء عودتها تتخلص دائماً من ثلث عدد جمالها إما بالبيع في أسواق السودان أو نحرها لأنها مكلفة أثناء رحلتها، فيترك الثلث للركوب ويبقى الثلث للذهب والمؤن²⁴.

والأهم في الإشارة إلى كمية الذهب التي نقلت من السودان الغربي إلى المغرب الإسلامي، هو أن الذهب شكل بضاعة قائمة بذاتها ازدهرت به تجارة المغرب الإسلامي خلال فترة العصور الوسطى، لا من حيث جلب عدد كبير من التجار الذين سافروا من بغداد إلى المغرب ثم إلى غانة أرض الذهب من أجل جلب كمية منه، ولا من حيث المسالك التي رسمت لنقله أو المدن المحطات وأسواقها التي أنشأت لاستقباله، ولا من حيث العملة الإسلامية المغربية التي ضربت منه والتي تمتعت بسمعتها المحلية والخارجية نظراً لمعدنها الصافي ووزنها الصحيح.

وتوضيحا لهذه الصورة أكثر يمكن لنا الإشارة إلى خريطة المسالك التي رسمت بشكل عرضي أو طولي، حيث يمكن لنا القول أن الفتوحات الإسلامية ساهمت مساهمة كبيرة في توسيع شبكة المواصلات، التي كانت موجودة في المغرب الإسلامي قبل دخول العرب الفاتحين إليه خاصة تلك التي توجهت نحو الصحراء الكبرى. لأن الفتوحات الإسلامية التي توجهت إلى السودان الغربي، فتحت المجال أكثر لمعرفة الصحراء ومحطاتها مما سهل العملية أكثر للتجار العرب والبربر الذين صوبوا اهتمامهم نحو هذه المناطق، خاصة بعد ما وسعوا نشاطهم التجاري في ظل الإسلام والمعاملات الإنسانية التي كانت من مبادئ الإسلام. أول مسلك يمكن الإشارة إليه هو المسلك الغربي الذي ذكره ابن حوقل قائلا: «وفيها طريق من مصر إلى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم... فأهلكك غير قافلة... وقصدهم العدو فأهلكهم... فانتقلوا من ذلك الطريق إلى سجلماسة»²⁵ وحدث ذلك عام 249-270 هـ عندما قام حاكم مصر بتحويل الطريق التجاري الذي كان يمر بواحات خرقة للذهاب إلى السودان الغربي والمغرب، وهذا ما يفسر استقرار تجار الكوفة والبصرة ومناطق المشرق في سجلماسة²⁶. ويرى لومبارد موريس أن الطريق الغربي يشمل محطتين "سجلماسة" و "نول لمته"²⁷.

وإذا اعتبرت سجلماسة بابا للطريق الغربي، فهذا يعود إلى انفتاحها على المدن المغربية الشمالية، حيث ترتبط مع تلمسان شمالا وقد وصف الإدريسي ذلك قائلا: "وأما من أراد الطريق إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفروى إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة"²⁸. إضافة إلى طريق وجدة سجلماسة وفاس سجلماسة، وتاهرت سجلماسة، ثم أغمات سجلماسة. أما باتجاه السودان ربطت سجلماسة طريقها بأهم محطات القوافل التجارية ومستودعات ذهب السودان الغربي والتمثلة في أودغشت والتي يربطها بطريق تامدلت، ولقد أشار إلى ذلك الباحث لوفيتسكي قائلا: ينطلق هذا الطريق من سجلماسة مرورا بتمدلت ثم إيجيل ثم أزوكي ثم أودغشت، أما الطريق الثاني فهو الذي يربط سجلماسة بأودغشت مرورا بتاغزة منجم الملح من هنا يتزود التجار بالملح الذي ينقل إلى السودان²⁹.

كما ذكر أن الطريق الرابط بين سجلماسة وتمبكتو مرورا بتبالبالة وتغازة وتاوديني هي من أهم طرق الذهب الغربية، لكن على الرغم من أهمية هذا الطريق والذي استمر الاعتماد عليه إلى غاية القرن التاسع عشر، إلا أنه لم يكن يخلو من المخاطر ومنها عدم عذوبة مياهه وملوحتها الشديدة إضافة إلى انتشار الذباب خاصة في الجزء الذي يربط بين تاغازة وولاتة³⁰.

أما فيما يتعلق بالطريق الأوسط أو ما يسمى بالمسلك الأوسط فيتمثل الفرع الأول منه في الطريق الذي كان ينقل الذهب من غانة وأودغشت باتجاه تغازة نحو الشمال الشرقي، ثم توات وقورارة إلى الشمال الغربي لهضبة تادمايت التي يؤدي طريقها إلى ورقلة والجريد بتونس. والفرع الثاني تمثل في الطريق الرابط بين جاو وورقلة مرورا بتادمكة وأدرار ايفوغاس، والذي يمتاز بقصره وصعوبة مسلكه³¹. وفيما يتعلق بالمسلك الشرقي يعتبر هذا المسلك الأهم في نسج شبكة الطرقات نحو بلاد السودان، حيث ينطلق من طرابلس بفروعه الثلاث فالأول فهو غربي نحو السودان مرورا بسجلماسة ثم أودغشت وأخيرا غانة، والثاني فهو أوسط مرورا بفزان، ثم تشاد وكانم وأخيرا تادمة إلى غاية غانة، والأخير فهو الفرع الشرقي الذي يربط طرابلس بمحطات الواحات الشرقية ومصر³².

وحدد البكري هذه الطريق بقوله إنها تنطلق من غانة باتجاه جاو ثم تادمكة إلى غاية طرابلس مرورا بغدامس وكانت فترة اجتيازها مائة يوم (غانة تادمكة 50 يوما - تادمكة غدامس 50 يوما - وغدامس طرابلس 10 أيام)³³. وأهم ما ميز هذا الطريق الشرقي، هو بروز مدينة غدامس في واحات ليبيا، كما برزت ورقلة في واحات الجزائر، حيث تعود فترة نشأتها كمحطة تجارية إلى الفترة القديمة، وهذا نظرا لموقعها الاستراتيجي، حين اعتبرت بوابة للسودان الغربي بالنسبة لمدينة طرابلس، إضافة إلى مرور طريق شروش والتكرور بها، ومن يتطلع إلى شروش يذكر جبل نفوسة وأهميته التجارية والطرق التي كانت تربطها بالزويلة وفزان وقسطليليه والجريد ثم ورقلة وتادمكة و " جاو " ³⁴.

ومن خلال الإشارة إلى هذه المسالك التي استطاعت أن تنقل ذهب السودان الغربي نحو المغرب الإسلامي ثم نقله نحو المشرق وأوروبا، يمكن لنا القول إنه لا محال سوف تزدهر مدنه على طول الطريق السالف الذكر، هذه المدن السياسية التي أصبحت مدنا اقتصادية بامتياز، نالت حظها من الذهب الذي ساهم في بروزها وتنشيط التجارة بها وهذا بعد استقطاب التجار إليها والتي سميت "بمدن المحطات"، حيث يمكن لنا القول أنه بفضل التجارة العابرة للصحراء حدثت نهضة عمرانية انطلاقا من شمال الصحراء إلى غاية ضفاف نهر النيجر، ومن أمثلة ذلك فاس والقيروان التي كانت على صلة مع تلك الواجهة الجنوبية لتجارة المغرب، وعن القيروان ذكرها الحميري قائلا: " والقيروان دار ملك المغرب ورأت من الممالك والملوك والدول والفقهاء والعلماء والصالحين ما لم يكن مثيله في قطر من الأرض، وكانت مركزا للإنعاش الاقتصادي، حيث احتضنت سوقا تجارية استقطبت التجار حتى جعلت من المغرب بلدا غنيا وأسواقه مشهورة في عالم التجارة³⁵. وقد رافق هذا الازدهار الاقتصادي ازدهار ثقافي وعلمي كانت تضاهي به أكبر المدن بالمشرق ذكرها الزهري قائلا: تضاهي بغداد وهي من قواعد الإسلام الأربعة، بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة، فيها من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء ما كان بالبصرة، فيها أربعة ألف كرسي للعلم وأربعمائة شاعر، لا يمدحون ملوكا ولا وزراء إنما يمدحون التجار وأولاد التجار³⁶.

وما زاد من أهمية هذه المدينة هو ارتباطها بجنوب الصحراء حيث اعتبرت محطة لتجار جنوب الصحراء، ذكر البكري ذلك قائلا: فإذا أردت التوجه من تادمكة إلى القيروان، فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى ورجلان ثم أربعة عشر يوما إلى قسنطينة ثم سبعة أيام إلى القيروان³⁷". وما زاد من أهمية هذه المدينة كمحطة تجارية وكسوق مغربية بامتياز، هو استقرار جماعات يهودية بها خاصة إذا علمنا أن اليهود لا يستقرون إلا في المناطق التي تتوفر على الأمن وتكثر بها الأرباح الاقتصادية، والقيروان لها من هذه الصفات ما جعلها قطبا من أقطاب العالم الإسلامي في جميع المجالات.

والمحطة الثانية هي مدينة تاهرت التي تقع في المغرب الأوسط التي عمرت أيام الأفلاح وكثرت فيها الأموال والمستغلات وأنتها الوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات³⁸. قال عنها الحموي: " أنها مدينة جليلة كانت قديما تسمى بعراق المغرب " ³⁹. كما يمكن لنا القول أن ذهب السودان الغربي كان له أثرا كبيرا على الحياة السياسية والاقتصادية وحتى الدينية لتاهرت، ويمكن لنا تلخيص هذا الأمر في قول الإمام عبد الوهاب: " لولا أنا و محمد بن جرنى وابن زلغين لخرب مال المسلمين، أنا بالذهب و محمد بن جرنى بالحرث وابن زلغين بالأنعام " ⁴⁰. وبروز دور الإباضيين في التجارة الرستمية السودانية دفع ببعض الباحثين إلى إطلاق تسمية التجارة الخوارجية، ليس لسيطرة هؤلاء على المحطات الكبرى لهذه التجارة أو لاحتكار مسالكها بل للعلاقات السياسية التي ربطت الأئمة الرستميين وملوك السودان. كما لعبت المسالك التي ربطت مدينة تاهرت ببلاد السودان دورا كبيرا في ازدهار المدينة، وتوفر معدن الذهب بها وكان المسلك الأول يتمثل في المسلك الذي ينطلق من تاهرت متجها نحو جاو ثم سجماسة ثم أودغشت وأخيرا غانة⁴¹. أما المسلك الثاني فهو مسلك تاهرت، جاو، مرورا بورقلة وتادمكة عبر الهقار⁴². كما ساهمت تجارة الذهب في ازدهار المجال الفني كبناء القصور والمباني الضخمة، واتخاذ الضياع الواسطة، والاستكثار من العبيد والخدم واتساع ثروة التجار إلى درجة امتلاك الأسواق بأسمائهم الشخصية⁴³.

وثالث محطة يمكن لنا الإشارة إليها هي مدينة سجماسة، الواقعة على الطريق الغربي المؤدي إلى غانة، والمسافة بينها وبين غانة شهرين وبينها وبين وادي درعة خمسة أيام، وبينها وبين فاس عشرة أيام، تمتاز بكثرة بساتينها وقصورها وديارها، ومن مدنها درعة تدنفوست، أشر، أيل، أمصلي، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، تزروت⁴⁴. ومن العوامل التي ساهمت في ازدهار هذه المدينة وتحولها إلى محطة تجارية أنها تقع على طريق الذهب السوداني، ذكرها الحموي قائلا: " أهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جراءة على دخولها⁴⁵. كما تعود أهمية سجماسة التجارية إلى شبكة الطرقات التي ربطتها بالعديد من المحطات الأخرى منها ورقلة التي

اعتبرت مرحلة من مراحل الطريق الذي يربط القيروان بسجلماسة من جهة، وطريق مصر سجلماسة مروراً بطرابلس والجريد من جهة أخرى، لتعتبر أهم محطة شمالية لطرق قوافل المغرب المتوجهة إلى السودان ومحطة وصول ذهب وعبيد غانة⁴⁶. ومن آثار الازدهار الاقتصادي الذي حققته سجلماسة بعد ازدهار تجارة الذهب وتحولها إلى مركز لاستقبال هذا المعدن، أنها لم تدخل في التعصب المذهبي⁴⁷، وهذا بفضل تعدد التجار وثرانهم وكذا الانشغال في أمور البيع والشراء، مما دفعهم إلى التأقلم بشكل سريع مع كل الأنظمة التي عرفت، إضافة إلى قدرتها على استرجاع قوة نشاطها التجاري كلما عاشت الخراب، بسبب الاضطرابات الداخلية والخارجية. والمحطة الرابعة وهي جنوبية والتي يمكن لنا ادراجها ضمن المدن المحطات مدينة أودغشت التي تقع على الطريق الرابط بين سجلماسة وغانة، هذا الطريق الذي شهد تنافساً شديداً بين ملوك صنهاجة وملوك غانة، خاصة خلال فترة القرن العاشر للميلاد.

ذكر البكري هذا الطريق واصفاً إياه أنه طريق سهل وهذا بسبب وفرة المياه فيه، خاصة في الجزء الرابط بين تاملت وأودغشت، ومن نقاطها الهامة بئر الجمالين بئر هليون، وبئر ويطونان⁴⁸. كما كانت أودغشت همزة وصل بين مناجم ملح كل من أوليل وإيجيل وتغازة الذي كان ينقل إلى بلاد السودان.

وأخر نقطة يمكن لنا ادراجها ضمن هذه الدراسة هي تلك السلع التي استبدلت بين أقطار المغرب والسودان الغربي، والتي من خلالها يمكن لنا معرفة حجم المبادلات ومدى اهتمام التجار بهذه المنطقة التي كان ينظر إليها أنها مصدر رزق لا يمكن الاستغناء عنها. وأول بضاعة تصدرت مبيعات السودان تجاه المغرب، هي معدن الذهب الذي أشير إليه أنه كان يتم بيعه بكميات كبيرة إلى درجة القول أن هناك ما كان يسمى " بتجارة الذهب "، وما الدليل على ذلك سوى عملية ضرب العملة الذهبية أي الدينار الإسلامي التي بينت أن بضاعة معدن الذهب إن صح التعبير كانت أهم سلعة يمكن الإشارة إليها، وأنها كانت محور التبادل بين تجار السودان الغربي والمغرب الإسلامي، وكانت الكميات المستوردة منه إلى المغرب معتبرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، والتي قدرت بما يفوق

ثلاثة أطنان سنويا. والدليل على وجود هذه الكمية من الذهب في المغرب هو تأسيس العديد من دور ضرب العملة الإسلامية - الدينار الذهبي- سواء أيام الفاطميين (العبيديين) أو المرابطين والتي كانت في كل من القيروان والمهدية والمنصورية وسجلماسة، والتي بلغت حصة الذهب لديها ما يقارب 400 كغ من الذهب لسك ما يقارب 300 ألف قطعة ذهبية بوزن الدينار الذي حدد بـ: 25,4 غ. كما يكفي علينا أن نشير إلى عدد دور ضرب العملة في كل من المغرب والأندلس لتحديد كميات الذهب المستوردة من السودان الغربي، والتي بلغت أيام المرابطين فقط 11 مركزا في المغرب و 16 مركزا في الأندلس⁴⁹.

والحديث عن القوافل التجارية المنظمة والمجازاة لمفازات الصحراء الكبرى والمتوجهة إلى غانة أي بلاد السودان أو العائدة منه، فقد وجدناها قد تنوعت منتوجاتها حيث لم تكن تقتصر على معدن الذهب الذي شكل محور هذا التبادل، بل حتم الأمر ارسال تلك البضائع التي كان السوق الإفريقي في حاجة ماسة إليها، والتي من أجلها تمت التضحية بمعدن الذهب وتحريره من قيود إفريقيا والذي أعتبر أساس البناء الاجتماعي والعقدي لإفريقيا السوداء.

ومن هذه البضائع التي عرفت رواجاً وغدت أسواق المغرب الإسلامي، نجد الرقيق وحول هذه الظاهرة، أشارت العديد من الدراسات التي اهتمت بالبحث في موضوع بيع الرقيق في المغرب أن العملية لم تكن وليدة الفتوحات الإسلامية لإفريقيا السوداء كما كان يعتقد، بل هي ظاهرة عرفها المجتمع الإفريقي منذ القدم، وهذا تماشياً مع عاداتهم ومعتقداتهم، ولا يسعنا المجال لذكر كل هذه التفاصيل، لكن يمكن لنا القول أن رقيق السودان عرفته الأسواق الإفريقية والمغربية بشكل كبير، خاصة عندما استخدموا كيد عاملة في العديد من المناجم لاستخراج الملح والذهب والأحجار الكريمة، أما بالنسبة للمغرب فكانت الاستفادة منهم أكثر في مجال الحروب التي خاضها أمراء بنو زيري والمرابطين، وهذا كرامة في حروبهم، حيث استطاع المرابطون وحدهم شراء ما يقارب ألفي عبد عام 466هـ/1072م، وشارك ما يقارب أربعة آلاف من هؤلاء في معركة الزلاقة. وقد زاد الاهتمام برقيق السودان أكثر عندما أصبح

التجار أغنياء جراء جلب معدن ذهب السودان، حيث تنافسوا فيما بينهم خاصة اليهود منهم. وكانت مدينة أدغشت سوقا للرقيق بامتياز، كان يجلب منها سودانيات طبخات محسنات تباع الواحدة منهن بـ 100 دينار⁵⁰. كما استقبلت سوق سجلماسة وورقلة أهم المراكز المغربية العبيد الخصي، وكذلك سوق مراکش التي أصبحت تضاهي سوق بغداد والبصرة والكوفة⁵¹.

أما البضاعة عرفت هي الأخرى رواجاً في المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان، نجد مادة الملح التي كانت تستخرج من مناجم أو ملاحات الصحراء الكبرى، والمتمثلة في كل من منجم أوليل، تغازا، وإيجيل. وكانت الكمية المنقولة منه إلى السودان الغربي والتي كانت تستبدل بمعدن الذهب، تبين أهمية معدن الملح في الحياة اليومية لسكان إفريقيا. وكانت تزن قطع الملح المصدرة منه ما بين 85 و 90 كغ⁵². وعن أهمية هذا المعدن ذكر البكري قائلاً: ولملكهم - أي ملك غانة- على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، وديناران في إخراجة.⁵³

من خلال ما سبق ذكره يمكن لنا القول أن أهمية معدن الملح في السودان الغربي كانت تضاهي أهمية معدن الذهب، وهذا لشدة حاجة السكان إليه، مما دفعهم على أن يتصارفون به كما يتصارفون بالذهب والفضة، وذكر ذلك في كتاب الاستبصار: "وببلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم"⁵⁴.

ومن السلع الأخرى التي رافقت معدن الذهب تجاه المغرب الإسلامي، وراجت الأسواق بها نجد العاج الذي توفر بكثرة، والذي أدخل ضمن مواد الزينة، ضمن قائمة الأواني المنزلية مثل أواني الشرب، إضافة إلى تزيين الخيول بها، أما مادة العنبر التي كانت تستخرج من حوت العنبر بالمحيط الأطلسي، فلقد كثر الطلب عليها هي الأخرى بالأسواق المغربية، ونقلها التجار وكانت ضمن البضائع الكمالية⁵⁵. كما كان التجار المغاربة يستوردون جلد اللط - لذي كان يصنع منه الدروع - التروس - الحربية هذا لميزته الخاصة، حيث لا تخترقه السهام والسيوف ومن جودته كان يهدى إلى ملوك المغرب والأندلس⁵⁶. أما فيما يتعلق بالبضائع المغربية التي كان السودان في أمس الحاجة إليها نجد المنتجات الفلاحية والقمح

بالدرجة الأولى إضافة إلى الزبيب وبعض الفواكه، كما اهتم السودانيون بمعدن النحاس الذي كان يصدر على شكل قضبان أو على شكل سلاسل محلاة بماء الذهب⁵⁷. ويوضح الزهري ذلك قائلا: " كان يجلب من المغرب التمر والزبيب والحريز والمتاع والثياب والخز والكتان، ومن الأندلس وإفريقية الزعفران والثياب المرسية والخز والحريز " ⁵⁸.

من خلال ما سبق ذكره يمكن لنا القول أن الذهب قد شكل تجارة قائمة بذاتها سواء من حيث الكمية التي كانت في متناول التجار أو السلطة، أو من حيث توسيع شبكة الطرقات التي امتدت من الشرق إلى الغرب أو من الشمال إلى الجنوب والتي ساهمت في نقله. دون أن ننسى ما لهذه التجارة من أثر في ظهور مدن كبيرة شكلت أقطابا سياسية واقتصادية معا.

الخاتمة:

يبقى موضوع تجارة الذهب وتأثيرات ذلك على المغرب وإفريقيا وأوروبا من الأبحاث التي يجب الاهتمام بها كدراسات أكاديمية للوصول إلى نتائج علمية دقيقة يمكن أن توضح وتفك لغز العديد من التساؤلات، التي طرحت في العديد من المصادر العربية التي كتبت في العصور الوسطى أو الدراسات الحديثة، التي نقلت لنا العديد من الروايات التي في غالبيتها مشكوك في صحتها. لكن من خلال ما تم طرحه يمكن لنا أن نجعل المجال مفتوحا أمام الطلبة الباحثين الذين اهتموا بدراسة إفريقيا وعلاقاتها مع المغرب الإسلامي في كافة العصور، ليبينوا مدى أهمية هذه العلاقات وتأثيراتها الحضارية، بعيدا عن البربرية والوحشية التي وصفت بها المنطقتين في العديد من الكتابات الغربية والاستشراقية.

الهوامش:

1. أنظر الذهب: معجم المعاني الجامع.
2. صلاح حمودة: معدن الذهب، منتديات المصطبة، قسم أبحاث علمية وثقافية، ص1 2019.
3. SEROUSSI (R) ; L'HISTOIRE DE L, OR, Paris édition, Empire, France ,1998, P45.
4. Meyer (L) ; Les Métaux Précieux.
5. SEROUSSI (R) ; op.cit. P 59.
6. سورة آل عمران، الآية 14.
7. لومبارد موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر ن دمشق، ص 232.
8. ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 1996م، ص 193.
9. الزهري: كتاب الجغرافيا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1990م، ص 106-117.
10. الاصطخري: المسالك والممالك، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1961، ص 33.
11. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الكتاب الحديث، ط2، 1990، ص 19.
12. ابن خلدون: المصدر السابق 12، ص 207.
13. هي المنطقة المتضمنة لحوض نهر السنغال، غامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر. (أنظر:
- Soudan in « Encyclopédie de l'Islam » T9 Paris، Maisonneuve,1991, p518.
14. لومبارد موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي، ص 83.

15. انظر: التجارة، معجم المصطلحات الشرعية. وابن منظور: لسان العرب، ج4، ص 89. والصحاح: ج2، ص600. وتاج العروس 10 / 278.
16. محمد أحمد القياتي محمد: مقاصد الشريعة عند الإمام مالك، م 2، دار السلام، ط1، الإسكندرية، القاهرة، 2009م، ص 532.
- 17: GIRI (J) ; Histoire économique du Sahel ;Karthala ;Paris ;1994 ;PP 87- 89.
18. KIETHEGA (J-B) ; L'OR de la Volta Noire ; p 33 .
19. GIRI (J) ; Histoire économique du Sahel ;P 87.
20. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ترجمة دي سنان، باريس، 1965، ص 176-179.
21. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 24-25.
22. KIETHEGA (J-B) ; L'OR de la Volta Noire ; p41.
23. Lombard Maurice ; Les Métaux dans l'ancien Monde du 9 au 10 siècle ; Mouton et Cie ; Paris ;1974 ;p 208.
24. MAUNY (R) ; Tableau Géographique...p 227.
25. ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص65.
26. MEUNIE (J) ; Le Maroc Saharien...P219.
27. لومبارد موريس: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي/ ص 85.
28. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م1، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1989م، ص 17. 1409هـ
29. شنايت (العيفة): دولة بني مدرار - سجل ماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري، رسالة ماجستير، (1990/1991م)، ص142.

- 30 . GIRI (J) ; Histoire économique du Sahel ; p 114 .
- 31 . Lombard Maurice ; Les Métaux dans l'ancien Monde, p 306.
- 32 . زغلول (سعد): تاريخ المغرب العربي، ج4، ص 109.
- 33 . البكري: المصدر السابق، ص ص 180-182.
- 34 . إبراهيم فخار: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، ص 50.
- 35 . الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس مكتبة لبنان، ط2، لبنان، 1984م، ص 382.
- 36 . الجنحاني (الحبيب): القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب، ص 134.
- 37 . البكري: المصدر السابق، ص 182.
- 38 . زغلول (سعد): تاريخ المغرب العربي، ج 2، ص 341.
- 39 . الحموي(ياقوت): معجم البلدان، ص 8.
- 40 . جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص 109.
- 41 . بن عزوز فريدة: قراءة في أبحاث تاديوش لوفيتسكي، حول فجر العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ص 460.
- 42 . LEWICKI (T) ; Etudes Magrébine et Soudanaises ; p 13.
- 43 . عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 579.
- 44 . البشاري: المصدر السابق، 184.
- 45 . الحموي: المصدر السابق، ص 192.
- 46 . LEWICKI (T) ; Etudes Magrébine et Soudanaises ; p14.
- 47 . جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص 228.
- 48 . البكري: المصدر السابق، ص 157.
- 49 . BENHSAIN (Mesmoudi Rajae) ; Approches Quantitative de l'or monnayé en occident Musulman, Paris,1994, p 13.
- 50 . شنايت (العيفة): دولة بني مدرار - سجل ماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري، ص 463-464.

- 51 . نفسه، ص 156.
- 52 . MAUNY (R) ; Tableau Géographique...p 359.
- 53 . البكري: المصدر السابق، ص 176.
- 54 . المؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، ص 219.
- 55 . أحمد الباي(حسين): سلع التجارة الصحراوية- الصحراء الكبرى- طرابلس،
ليبيا-1979، ص 206.
- 56 . الزهري: كتاب الجغرافيا، ص 118.
- 57 . جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية...، ص 218.
- 58 . الزهري: المصدر السابق، ص 124.